السيد محمود الهاشمي وجهوده العلمية
(دراسة موضوعيّة)

أ. م. د. عبد العزيز داخل عبد الكريم
تحسين حميد حسن

السّيْرة في فكر السيّد الهاشميِّ

توطئة:

إذا عُدّ أيَّ عملٍ صالحٍ، أو فكرٍ، إلهياً كان أم بَشرياً، بمثابة سيرةٌ أو ذكرُ خُلّدَ بانتفاع النّاس مِنْهُ، أو باعتقادهم بفضله في تغيير جوانب حياتهم، فإنَّ فلاسفة التّاريخ قد رأى بعضهم أنَّ التّاريخَ ليسَ إلاَّ سِيْرةَ العظماء من الرجالِ، مع أنَّ الأدباء قالوا: إنَّها فنٌّ أدبي يروي فيه الكاتب أو المؤلف حياة شخصيّة تاريخية أو مجموعة من النّاس اتصفوا بسمات مرضية للجميع أطلقوا عليها اسم (السيرة التاريخيّة) أمَّا إذا أراد الحديْث عن نفسه أَسموها (السّيرة الذاتيّة)، ولكلٍّ نوع من تينك النّوعين أهداف لستُ بصدد القول فيها[1] مع أنَّ النّوع الثاني يعتمد على مَنْ يدوّن أو يكتب بمحض إرادته أو بتكليف، وهي ليستَ بالأمر اليسير أو الهين، إذ لا يقدر على كتابتها أو تدوينها إلاَّ مَنْ أَرْبى على قدرة المؤرخ وحنكته، وأحساس الأديب وشعوره فهي قصة إنسان متميز، قد يكون فيه من السّمات ما ليس في غيره، لذا أطلقت بادئ ذي بدءٍ عند المسلمين على ما دوّن من حياة الرّسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) وإنْ هو لم يدوّنها في سلوكه اليومي، وغزواته التي قام بها، وما كان من رسم للخطط في جوانب تنظيمه للدولة الناشئة في فكرها القرآني، وضروب الحصار الذي رافق ذلك، وتوزيع الفيء والمغانم، ومعاملة الأسرى، وما إلى ذلك، وفي تلك المفهومات، رأى السيّد الهاشميّ أنَّ هُناك من هو متخصص فقال في بعض ما كتب عن السيّرة: ((لستُ مِنَ المتخصصين الباحثين في سيرة النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وفي ما دوِّن، في هذا المجال، في صدر الإسلام الأوّل، ولكنّي، وعلى سبيل العجالة، فكْرتُ من دون إعداد مسبق أنْ أبحث في هذا المؤتمر الكريم المخصص للسيرة النبويّة المباركة في محاور ثلاثة، وذلك في الوقت الذي اعترف فيه بأنَّ الحديث عن السيرة النبويَّة، وكذلك عن سيرة الأئمة المعصومين حديث طويل متشعِّب لا يمكن استيعابه من خلال محاضرة أو بحث...))[2]، ولذا كان لا بُدَّ ليَّ مَنْ أنْ اكتب هذا الفصل في مبحثين، الأوّل: مفهوم السِّيْرة في اللّغة والاصطلاح ونشأتها وتطوّرها. وفي مطلبين الأوّل: السيرة في اللّغة والاصطلاح، والثاني: نشأتها وتطوّرها ورأي السيّد الهاشميِّ في ذلك، والمبحث الثّاني: ساكتبهُ في السّيرة عند السيّد الهاشميّ ومحتوياتها، وفي مطلبين أيضاً الأوّل ما كتبه السيّد الهاشميِّ في السّيرة، والثّاني، محتويات ما كتب. وفيما يأتي تفصيل ما ذُكر.

المبحث الأوّل

مفهوم السّيرة في اللّغة والاصطلاح ونشأتها وتطوّرها

إذا كان الأدباء أو العلماء الذين دَونوا السّيْر والتراجم قد قصدوا أموراً منها:

1- تخليد الشّخصيات التي ذكروها، ببعث الرّوح في أعمالها، وتجديد آثارها الطيبة، التي وضَعَتْ لَبِنَةً أو لبنات في سلم التطّور الحضاري للبشرية جمعاء.

2- فإنَّ عرض الموعظة والعبرة، ولاسيَّما الحسنة منها، لدفع المتتبعين إلى الاقتداء بكون مَنْ ترجم له يمكن أنْ يُعدَّ أسوةً حسنة ينبغي الاقتداء بأفعالها، وما تركَتْ من تجارب صالحة تَسْلَك للوصول إلى مرافئ الأمان في خضم الأمواج العاتية، التي مصدرها الإنسان الخائب الذي قَدْ يرقى إلى مستوى التحكّم في مسارات كثير من النّاس، وربَّما لا يخفى أنَّ القرآن الكريم، هو الذي نبّه العقول، وعمّق الإحساس على ضرورة تتبّع ذلك إذ قال جلَّ وعلا: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**...﴾[3]، وعليه أقول:

المطلب الأوّل

السّيْرةُ في اللّغة والاصطلاح

السِّيْرَةُ في اللغة: من السَّيْر، على زنةِ فِعْلَةٍ كَسِدْرَةٍ، بكسر السِّين وسكون الياء[4]. وهي من سار، يسير سَيَّراً وسَيَّرَهُ، والاسم السِّيْرَةُ[5]، ويقال: بارك اللهُ في مَسِيْرك: أي سَيْرِك قال الجوهري (ت399هـ)، وهو شاذ لأنَّ قياس المصْدر من فَعَلَ يَفْعِلُ مَفْعَلٌ بالفتح[6]. ويقال (سار) بهم سِيْرَةً حَسَنَةً[7]، وسار في النّاس سِيْرة حسنَةٌ أو قبيحةً[8]، وهي في دلالتها تعني:

أوّلاً- الطريقة: سواء كانت خَيْراً أو شَرّاً، يقال: فلان محمود السِّيْرة، وفلان مذموم السِّيرة[9]، وقد تقصرُ على السّيرة الحسنة[10]، وعدّها الكفوي (ت1094هـ) تجوّزاً بها لذلك المعنى[11].

ثانياً- السُّنّة: وقَدْ سارَتْ وسِرْتُها، ومنها قول الشّاعر:

فَلاَ تجْزَعَنْ عَنْ سُنَّةٍ أنْتَ سِرْتها فأوّل راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيُرها

أي: جعلتها بفعلكَ لها سائرةً بين الناس[12].

ثالثاً- والهَيْئَةُ والحالة: وفي التّنزيل قوله تعالى: ﴿**قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى**﴾[13] أي هيئتها وحالتها السّابقة[14].

رابعاً- وسَيَّر سِيْرَةً: حَدَّث أحاديْث الأوائل[15].

وخامساً- المِيْرَةُ[16]: وهي ممّا يمتازه الإنسان من طعام في سفره، والسَّيْرُ بالفتح الذي يُقَدُّ من الجلد[17]، وقد يُعَدّ هذا المدلول بعيداً، لكنَّه يوحي إلى معاني الرحل والتنقل إذ السَّير: هو قطع المسافة، والسِّيرة ترتبط بالمغازي التي يُراد بها سَيْرَ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) أو الإمام إلى العدو[18]، ولا سيَّما قد غَلِب اسم السِّير في ألْسِنة الفقهاء على المغازي[19]،

السيرة اصطلاحاً: وهي عِندَ أهل الشّرع: طرائق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) قولاً، وفعلاً، وتقريراً[20]، فتطابقت في مفهوماتها اللّغويّة مع مدلولها الاصطلاحي، وقَدْ تعمَّد الفقهاء في أنْ يكون الكلام على الجهاد وأحكامه من ضمن المفهومات للسّيرة، لأنَّ الأحكام المودعة في الجهاد متلقاة من سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) التي بها أُرسيتْ قواعد الإسلام وأركانه في غزواته، وسراياه، وما رافقها من أحداثٍ ارتبطت بحياته (صلى الله عليه وآله وسلّم)، ومسيرة صحابته المنتجبين الأخيار (رضي الله عنهم)، لأعلاء كلمة الحقّ، ونشر عدالة الله في أرضه، لذلك قال عنها سعد بن أبي وقاص (ت55هـ) وهو قد علّم أبناءه مغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وسراياه ((يا بَنيَّ هذهِ شرفُ آباءكم فلا تنسوا ذكرها))[21] قال ابن أحمد الحلبي (ت1044هـ): ((إنَّ سيرة المصطفى عليه أفضل الصّلاة والسّلام من أهم ما اهتم به العلماء الأعلام، وحُفّاظ ملّة الإسلام، كيف لا؟، وهو الموصل لعلم الحلال والحرام، والحامل على التّخلق بالأخلاق العظام))[22].

ويبدو أنَّ السيّد الهاشميّ قد أقصر الكلام في السِّيْرة على شخصيّة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وسيرة بعض الأئمة المعصومين (عليهم السّلام). إذ بنى ذلك على مناهج البحث العلمي الحديثة بالإشارة إلى مواطن الصّدق والأمانة في نقل الأحداث، والوقائع، وما يمكن أستلهامه من سيرة أهل البيت المعصومين (عليهم السّلام) بعامة، وسيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلّم) ومَنْ كان منهم أكثر للتضحية والفداء شهرة بخاصة، لأنَّ تينك السّيرتين أو منهياتهما الإصلاحيّة المؤثرة تُعدّان موضوعاتٍ ثَرّةً، وموردات خصبّة، للكثير من البحوث، والمسائل الوعظية والفكريّة الجاذبة لسمو الذات، والتحقيق في السُّبل التي أدت إليها، ناهيك عن التفتيش والتنقيب عن الوسائل العقيديّة والتشريعية والتاريخيّة، التي يمكن بها أنْ تنبه الإنسان، ليسترشد بها في مسيرة حياته، ولاسيّما الجوانب المشرقة منها، لأنَّ حياة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وسلوك أحفاده (عليهم السلام) وسيرتهم مقاربة للمثالية التي يمكن أنْ يفيد منها البشر في بلورة الصفات الفاضلة التي قد تُبعد عن الأثرة، وتطمئن النّفس إلى نكران الذات والتضحية مِنْ أجل أن تسود العدالة في أرض الله (جلَّ وعلا)، وتبعد الإنسان عن الأثرة وترفعه إلى أعلى مراتب الخير والصّلاح، إذا ما نظر إلى مثالية ما قرأه واستنبط أحكامه، فهي بحد ذاتها امتداد لتشريعات القرآن الكريم في مسلمات أحكامه أو تفسّر ما أجمل منها، وفيها تبيان لما يحتاج إليه المسلم في كلِّ زمان ومكان من تكاليف، وقيم وأعرافٍ ومثل تخص الحياتين الدنيويّة والأخرويّة، إذ تفصل التكاليف وتحدد المعاملات التي يمكن أن يوظفها الإنسان في كلِّ أمر فاضل يفيد مِنْهُ بَعْدَ أن يقتنع بسلامة الهدف والمقصد[23].

المطلب الثّاني

نشأة كتابة السِّيْرة، وتطوّرها، ورأي السيّد الهاشميّ

في أهمية ذلك ومعالجاته للإخفاقات ومقترحاته

إذا تصفحنا تاريخ العرب والمسلمين، لا نجد مَنْ دوّن شيئاً عن السّيْر سوى الروايات الشفهيّة التي ارتبطت بأيّام العرب، ووقائعها، ولم يكتب في أيّام الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) غير القرآن الكريم، وبعض مبادئ الإفادة من التكاليف والسّنن التي خصت الرسالة السمحاء، تمثلت بصحيفة المدينة وأرستْ قواعد المجتمع الإسلاميِّ، وهيأت لنهوض إنسانيّ جديد لم تسبق أنْ رأت مثالهُ شعوب الأرض حينها، وإلى جانب ذلك، دوّنت بعض المفهومات التي قد رأوا فيها حفاظاً لسمو لغة القرآن، وتطميناً لدلالة معانيها[24]، ولعلَّ لما تقدّمت أسبابُه، فقد كان لحرص المسلمين ما حفزهم على حفظ القرآن وكتابته في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وبعدها، فضلاً عن مخافتهم مِنْ تفشي العجمة وضياع مدلولات القرآن ومعانيه عند اتساع الرقعة الإسلاميّة، وإذا استثني ما فعله معاوية بن أبي سفيان عندما استقدم (عبيد بن شريَّة الجرهُمي[*] من صنعاء، وطلب منه أن يدوّن لهُ (كتاب الملوك وأخبار الماضين) من حكام العرب، لكنَّ المسلمين لم يتجهوا إلى علم التاريخ إلاَّ من ناحية خاصة أرتبطت بحياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأهله (عليهم السّلام)، وصحابته (رضوان الله عليهم).

وربّما وجدوُا في تدوين ذلك شيئاً يحقّق ما في أنفسهم من تعلّق بمثاليّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وحبّ لتخليد المآثر التي رأوا فيها ما ينفعهم ويعينهم للأرتشاف مِنْ مضامينها ومحتوياتها العطرة بَعْدَ أن منعهم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب من تدوين أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) إلى أيّام عمر بن عبد العزيز، خشية أنْ يختلط الحديث بالقرآن فكان هناك أكثر من رجل كلّهم محدث فدونوا في السّيرة كتباً وهنا رأى الهاشميّ، أنّ السّيْرة ينبغي أنْ تضع في الميزان أمرين[25]:

الأوّل: تقصي منهج البحث العلمي الحديث، والثّاني ما يمكن استلهامه من سيرة الأئمة المعصومين (عليم السّلام) بعامةٍ، وسيرة النبي الأكرم بخاصة، لأَنَّ السيرة تمثل في رأيه موضوعاً يفضي إلى بحوث ومسائل كثيرة فكرية، وعقيديّة، وتشريعية وتاريخية، لأنَّ حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وسلوكه تُعدّ رسالة كالقرآن، يمكن توظيفها لخدمة البشريّة جمعاء وعليه ينبغي تجاوز المناهج التقليدية، واعتماد ثلاثة محاور: الأوّل: تحديد أهمية السيرة النبوية بما في ذلك سيرة الأئمة الأطهار، وإنْ كان سماحته قد قصرها على رأيه في القرابة، وحدّد الحديث عن الأئمة الذين كانوا موضع اشتهار في تقديم التضحيّة التي لا يوجد لها مثيل في نكران الذات، وتقديم الغالي والنفيس إيماناً بالمبادئ وما كان لها الصّدى الذي ما زال وسيبقى مدوياً في أعماق النفس البشريّة، يهزّ المشاعر، ويدعو إلى سمو الذات، وابتعادها عن منافع الدنيا الفانية.

والثّـــاني: ترك المنهج التقليدي في تدوين السيرة ودراسته، لأنَّ مرور الأيّام والسنين والحقب، وتعاقب الزمن في تكراره، فضلاً عمّا أضيف إليه، واختلف، تطميناً، لصلاح نهج الحكام والـــسلاطين من الظلمة والفاسدين، وعلى حقب بني أميّة وبني العباس، ومَنْ تلاهم، أدى إلى بطلان الفائـــدة منه، سوى الإعادة والتكرار، ناهيك عمّا ارتبط به من خوارق، قد لا تتفق مع صدق النوايـــا، وسمو الأهداف والمقاصد. والثالث ما رآه من منهج اقترحه لتدوين الـــسيرة والإفـــادة منهـــا، متزامناً مع التطور الذي حدّث في العالم من متغيرات مادية ومعنوية، قد تبعد الإنـــسان عـــن التصديق بمدلولات المنهج التقليدي، الذي قد لا يتفق في مضامينه مع المقاصد التي هدفت إليه.

وقد رأى السيّد الهاشمي في أنَّ أهمية السيرة في المحور الأوّل ينبغي أن تتركز في:

1- الدراسة الموضوعية لشخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بوصفها تمثل أعظم شخصية لقائد رسالي بَشَّرَ برسالة خاتمة لمفهومات العدالة للبشر.

2- توضيح الأبعاد والمرامي الهادفة إلى تحقيق المقاصد على نحو معمق وموثق، وبذلك تـــضفي الدراسة الموضوعيّة على طابعها ثروة تاريخية مهمة من الناحية العلمية في مختلف الميادين.

3- ولأنَّ السيّرة تحدد سيرة إنسان معصوم قد أبعده الله عن الخطأ والزلل، فهي حجة على العباد، وميزانٌ لفهم أحكام القرآن، وتشريعاته الصّائبة في رؤياه للأنظمـــة الاجتماعيـــةّ، والفرديّـــة الإسلاميّة، لأنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أعدّ الرسالة في الأقوال والأفعال، بَلْ حتّـــى السكون، لتكون حجة، لكلِّ الناس، ودليلاً وبرهاناً في كلِّ المفاصل والحركات التي قام بها في حياته (صلى الله عليه وآله وسلّم).

4- وإنَّ تلك العصمة، وما نجم عنها، بها شيّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأقام دولة مثلت بحـــقّ تجربة سياسيّة واجتماعيّة لما يمكن أن تحتجه البشرية من نظام حكوميٍّ مثاليٍّ مـــستقرٍ لمـــا أفاضت به من أبعاد سياسيّة واجتماعيّة، وإدارية تُعدّ حجة من الناحية التشريعيّة يمكن أنْ تفيد منها البشريّة بكونها صالحةً في النواحي الاجتماعيّة والسياسيّة، فمن النواحي التشريعيّة يمكن للمشرع أن يستنطق من السيرة النبوية المطهرة ما يستلهمه من نظريات وأنظمة اجتماعيّة التي يرضى بها الله سبحانّه، فتلك قيمة لا تضاهي، تمثل صورة عن الحكومة الإســـلاميّة العادلـــة، والصالحة لكلِّ عصرٍ وأوان، وحدّد الهاشميّ، أنَّ الأهمية العقيدية والفكرية يمكن استقطابها بما يأتي:

1- إنَّ السّيْرة النبويّة تُعدّ مصدراً من مصادر الفكر الإسلاميّ ومركز استقطاب للمعتقدات التي يجب أنْ يؤمن المسلم ويعتقد بها، سواء في ما يرجع إلى فهمه لمعنى الحيـــاة والإنـــسان

والتاريخ والمبدأ والمصير والغيب أم في ما يرتبط بالجانب الاجتماعيّ ومفهوم النبوّة والإمامة والولاء.

2- وما يمكن أن يفيد منها المسلم ومن جميع تلك المسائل الحكوميّة وبالمصطلح الأوسع لعلم الكلام والمتضمن المسائل الفكريّة والعقيديّة والحضارية للسّيْرة النبويّة الشريفة، ولأَن حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) معجزة خارقة للعادة مثلها مثل أحكام القرآن الذي بشر به الناس جميعاً، فيها تفصيل لكلِّ شيء تسمو به الطبيعة البشريّة، وترسو به في مرفأ الأَمان.

3- وهناك كثير من المواقف العمليّة في السّيرة النبويّة المطهرة، قد اقترن بالجانب العقيدي، ولاسيّما في ما يرجع إلى سيرة أهل البيت (عليهم السّلام) وفي مبدأ الولاء لهم، الذي يبرز للسيرة أهمية تشريعيّة قُصْوى.

أمّا من الناحيّة الأهمية التربويّة والروحيّة: فقد بينها السيّد الهاشمي بمفهومات ما دعا إليه القرآن الكريم مؤكدّاً لهم أنَّ سمو رسول الله وآله في السلوك يمثل أسوة حسنة تحدد بما يأتي:

1- الأسوة الصّالحة والمثل الأعلى لحياة الإنسان الكامل في كلِّ ما يحويه مضمون تلك العبارة أو المصطلح من معانٍ كبيرة وواسعةٍ. إذ الإنسان الكامل أسوة حسنة للبشريّة في كلِّ الأزمنة والبقاع والأماكن.

2- فمن الناحية العباديّة كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أكثر أهل الأرض عبادة، وعرفانه لله العرفان الأوّل، إذ لم يعرف الله أحد على مرّ التاريخ كمعرفة النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) له، فيما أثر من كلمة للإمام عليّ (عليه السّلام) ((لم يعرف الله أحد إلا أنا وأَنْتَ...))[26] وعلى مدى عمق المعرفة النبويّة لله. وعمق كمال النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم).

3- وإنَّ حقيقة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وعلو تلك الحقيقة وعمقها، لا يمكن أن يدركها إلاَّ من كان على معرفة عالية بالله كما نقل عن الإمام عليّ (عليه السّلام) وبالرواية نفسها: ((ولم يعرفني أحد إلاَّ الله وأنت))، لذا كان للسيرة النبويّة الشريفة دور كبير من الناحيّة الروحيّة والمعنويّة، لا يقلّ أهميّة عن دور القرآن الكبير في الدعوة إلى السلوك الجاد، الذي يحصنه الإيمان العميق، والمطلق بأنَّ هُناك مَنْ يقيد سلوك الإنسان السّوي ولمصلحته. والمحور الثّاني التقليدي في تدوين السيرة ودراستها، رأي السيّد الهاشمي أنّه وعلى الرغم من أهميته فإن فيه قصوراً كبيراً ونقصاً واضحاً من الناحيتين المنهجية والتاريخية، لأسباب يمكن تحديدها بما يأتي:

1- إنَّ ما يعرف اليوم بكتب السِّيرة، لا يعدو أنْ يكون مجرد دراسات لضبط بعض المفردات في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وبحسب رأيه[27]، لأن تلك المفردات ترتبط بشكلٍ مبعثر بكونها أحداثاً وقعت منذ ولادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، إلى حين وفاته، تبدو كأنّها ترجمة لحياة إنسان عادي.

2- وإنَّ تلك المنهجية لم تكن منهجيّة دقيقة من الناحية التاريخية بَلْ منيت بكثير من المفارقات والإشكالات، التي يمكن عرضها، في ما صنّف من كتب عنيت بتدوين السِّيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، فبدت وكأنّها مصادر للتاريخ الإسلامي عوّل عليها في معرفة سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وسَيّر رجال الإسلام، وبهذا قسم على قسمين: الأوّل اختص بتدوين سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وحياته الخاصة. والثّاني اتسع لعهد الخلفاء، وأرخ للأحداث جميعها فوصل إلى عصر المؤرخ نفسه.

3- وإنَّ السيّد الهاشمي قد ألقى نظرة فاحصة على تلك المؤلفات وحدد أوجه قصورها والمفارقات والإشكالات وعلى القسمين: في الأوّل: تكلّم الهاشمي على أبرز مدوني السّيرة. إذ كثيراً ما يسميه الذين كتبوا عن التاريخ المدوّن، وليس الرواة بعامة، إذ في رأيه ربَّما كان هناك رواة آخرون، وقطع أنَّ هناك رواة آخرين غير أولئك، ولكنّهم لم يدونوا رواياتهم، ولهذا تحدّث عمّن ثبتت لهم كتابات وهم[28]:

1- عروة بن الزّبير بن العوام (ت93هـ) كان من فقهاء المدينة، قَدْ اعتزل السياسة في عهد أخيه عبد الله بن الزبير الذي حكم الحجاز بكونه خليفة المسلمين، وإنَّ أكثر رواياته عن أمِّ المؤمنين عائشة، إذ هي المصدر الأوّل والأخير لما نقله من روايات وأحاديث، ذات صلة بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعدّه مدونا السيرة ابن إسحاق (ت152هـ) وابن هشام (ت213 أو 218هـ) من الثّقاة في الرواية فيما روياه عنه في كثير من الأحاديث والأخبار عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، والحياة الاجتماعيّة لصدر الإسلام. إذ مكنته النّسبة من أبيه الزّبير، وأمّه أسماء بنت أبي بكر من ذلك فأخذ عنه المؤرخون أمثال الواقدي، والطبري كثير ما تعلق بالهجرة إلى الحبشة والمدينة وغزوة بدر[29].

2- أبان بن عثمان بن عفّان (ت105هـ) الذي عَمِل والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان لسبع سنين، وقد ألّفَ في السيرة صحفاً جمع فيها كثيراً من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يخفى للتأثير السياسي في الوضع والانتحال.

3- وهب بن منبّه (ت110 أو 114هـ)، الذي لم يكن معتمداً في الحديث والأخبار، وغزارة ما نقله من علم تفشَتْ فيه الإسرائيليات، فضلاً عن كونه قاضياً لبني أُميّة في صنعاء وأولئك

وغيرهم مَنْ مثلوا الربع الأوّل من القرن الثاني الهجري الذي تحكمت به معالم سياسة الحكم الملكي المطلق.

4- وعاصم بن عُمر بن قتّادة (ت120هـ) تابعي حدّث عن أبيه وعن جابر بن عبد الله وأنس بن مالك، ونقل وحدّث عن الإمام عليّ بن الحسين (عليه السّلام)، والحسن بن محمّد بن الحنفية، وعبد الله الخولاني، وحدّث عنه ابن إسحاق، صاحب السيرة المفصلة التي اعتمدها ابن هشام مع إضافة أو تبديل وطرح، وقد أمره عمر بن عبد العزيز أن يجلس في المسجد الأموي بدمشق، ويحدّث الناس عن المغازي ومناقب الصّحابة، وسيرهم، ولابُدَّ من القول: إنَّ لفظتي (المغازي والسَّير) أرتبطتا بالسيرة النبويّة، فالمراد بهما عند مؤرخي المسلمين تلك الصحف الأولى التي وطدت صرح الإسلام، لأنَّها تضمنت غزواة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وجهاده في لّم شمل العرب تحت لواء الإسلام وما أضيف إليهما من حديث عن نشأة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم)[30]، وكان لبعض التابعين صحف منها صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري (ت78هـ)، الذي ذكر بعض أحاديثها عن حجة الوداع، وقد يصبح ذلك يقيناً إذا عُرف أن التابعي قتادة بن دعامة السدوسي (ت118هـ) كان يُكبر من قيمة تلك الصحيفة ويقول: (لأن بصحيفة جابر أحفظ مِنّي سورة البقرة))، ولا تبعد الأحاديث التي رواها سليمان بن قيس السّكري، وهو أحد تلامذة جابر منقولة من هاتيك الصحيفة[31].

5- وشرحبيل بن سعد (ت123هـ) صاحب الطبقات، وكان أعلم الناس بالمغازي، إلاَّ أنّه كان يجعل سابقة لِمَنْ ليس لهُ سابقة في الإسلام، فأسقطوا مغازيَهُ وعلَمهُ، ولكنَّ سفيان بن عيينة قال فيه: ((لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين مِنْهُ، فوثَّقه يحيى بن معين، وابن حبِّان))[32].

6- وابن شهاب الزّهري (ت124هـ) حفظت أجزاء من كتابه المغازي، في (كتاب المصنف) لعبد الرزاق السمعاني، والزهري صاحب شرطة بني أمية بقي في ذلك المنصب طوال حكم عبد الملك بن مروان، ويزيد بن عبد الملك، واستعمله الأخير على القضاء.

7- ويزيد بن رمان الأموي المدني (ت130هـ) لهُ كتاب المغازي منه قُطِعُ في طبقات ابن سعد، وجُلَّ اعتماده على عروة بن الزبير والزهري الذي تقدّم الكلام عليهما. وروى عنه ابن إسحاق بعض ما نقله في سيرته

8- وأبو الأسود الأسدي (ت131هـ) ربيب عروة بن الزبير الذي كانت أكثر مروياته عن أم المؤمنين عائشة، وكان لهُ كتاب في المغازي نقل عنه ابن حجر قطعاً في ((الإصابة في معرفة الصحابة)).

9- وعبد الله بن بكر بن حازم (ت135هـ) صاحب المغازي أخذ عن أبيه، وعن عروة بن الزبير، كما حدّث عنه الزهري وابن إسحاق.

10- وداوّد بن الحصين الأموي (ت135هـ) تلميذ عكرمة، وهذا معروف بعدائه للإمام عليّ (عليه السّلام) يذهب مذهب الخوارج، وقد حدّث عنه ابن إسحاق الكثير في سيرته، وموسى بن عقبة لهُ كتاب المغازي اعتمده الزهري بالدرجة الأولى.

11- ومحمّد بن إسحاق بن يسار (ت151 أو 152هـ)، صاحب السيرة الأوّل، بكتابه صار شيخ كتاب السيرة، بما نقله عمّا تقدمه من رواة كان الكثير متهم بالولاء السياسي لِمَنْ كان لهم الفضل عليه من حكام بني أميّة وسلاطينهم ولعلّ من جاء بعده همُ عيال عليه من كتاب السيرة، وإنَّ ما وصل من كتابه لم يكن كاملاً، فقد اختصره ابن هشام في سيرته فحذف منه أشياء كثيرة، مشيراً إلى الحذف وسببه، وقد نقل السيّد الهاشمي عبارة ابن هشام في ذلك بالقول: ((إنّه ما الذي يحدث؟ ولماذا؟))[33].

12- ومعمر بن راشد (ت154هـ)، وله كتاب في المغازي أكثر روايته عن الزهري، واعتمده الطبري في نقل مادته في تاريخيّه عن الحقبة النبويّة، ويحيى بن سعيد الأموي (ت194هـ) روى عن عروة بن الزبير، ومحمّد بن إسحاق وغيرهما، ولهُ كتاب في المغازي، منه قطع في صحيح البخاري، كما أفاد الطبري من مروياته. وأبو العباس الوليد بن مسلم الأموي (ت195هـ) الذي كان يلقب (بعالم الشّام) لهُ كتاب في المغازي منه قطع في صحيح البخاري في كتاب المغازي، كما أعتمده الطبري فيما رواه عن الحقبة التي نقل عنها، ومحمّد بن عمر الواقدي (ت207هـ) لهُ كتاب في المغازي، وهو من صنيعة العباسيين عمل قاضياً لهارون الرشيد وابنه المأمون وحكام بني العباس من بعده[34].

ورأى الهاشمي أنَّ القسم الثاني من المؤرخين للسيرة ورواتها لم يختصوا بتدوين حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وسيرته فحسب، بَلْ اتسع ليشمل الخلفاء مِنْ بعده حتى زمانهم الذي عاشوا فيه، وقد أبرز السيّد الهاشمي مؤلفات الكثير منهم يمكن اختصاره بما يأتي:

1- تاريخ محمّد بن جرير الطبري (ت310هـ)، الذي وصل إلينا بعنوانين (تاريخ الرسل والملوك) أو (تاريخ الأمم والملوك) والأشهر في تاريخ الطبري، ختم به أحداث عام (302هـ)، وعدّ المصدر الأوّل والأساس لِمَنَ جاء بَعْدَه من المدونين والمؤرخين، الذين توقف بعضهم عند القرون الثلاثة الأولى ولم يتعدها أمثال ابن الأثير (ت637هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ) وابن خلدون (ت817هـ) في تاريخه. وغيرهما.

2- كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت179هـ) والإمامة والسياسة وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة الدينوري (ت276هـ) وتاريخ اليعقوبي (ت292هـ).

3- والفتوح لابن أعثم الكوفي (304هـ) والذي عاصر الطبري.

4- وكتابا (مروج الذهب) (وأخبار الزمان) للمسعودي، وكان الأخير كتاباً كبيراً كما وصفه صاحبه في كتابه الأوّل لكنّه لم يصل إلى عصرنا أما الكتب الأُخرى فقد جاءت، وأضافت أحداث القرون المتلاحقة التي ارتبطت بتاريخ الخلفاء من الحكام في البلدان الإسلاميّة وإلى القرن الثالث الهجري. وقد رأى السيّد الهاشمي أنَّ تلك الكتب والمصنفات في السّيرة النبوية حوت ألفاظاً ومغازي وفتوحاً ولاسيَّما ما جاء في القسم الأوّل منها: وهي الأساس والمصدر الذي اعتمد عليه القسم الثّاني منها وبخاصة الطبري في أنَّ رواياته كانت مواضيع ومنابت لمفارقات خطيرة نتيجة تأثرهم بالعوامل الآتية:

1- عوامل غير موضوعيّة أدّت إلى تحريف الكثير من الحقائق التاريخيّة وتشويهها.

2- وطَنَت كثير من الافتراءات في ما ارتبط بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وكان لتلك المفارقات الأثر الخطير والبيّن في ثقافة الأجيال المتلاحقة من الأمة، لأنَّ الأمّة قد بنت أفكارها ومعتقداتها على ما ارتبط ارتبط بالإسلام ونبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم)، ورجاله من خلال ما دوّن في تلك المصنفات، لكون المتأثرين في البداية، وهم عموم الناس، الذين ليست لديهم القدرة على التميّيز والنقد والفحص الدقيق العلمي، وذلك التأثير قد استشرى حتّى بين العلماء والمؤرخين، المتأثرين بهم أن يكونوا على بصيرة ممّا ينفي اعتماده من شروط في الأخذ من تلك الكتب التاريخيّة ومن أهمها:

أ- دقة النّظر وتحكيم القواعد المرتبطة بتشخيص الرواية والرواة.

ب-وتقسم كلّ منهما واعتماد قواعد الجرح والتعديل في المخبرين والرواة.

ج- عدم اعتماد كلّ ما نقله الطبري دون تمحيص، وعدّه مسلّماً به موثقاً لا يشوبه شك.

د- وينبغي على الفقهاء بخاصة للتأكد من صحة ما ينقل، لكي لا يبنوا الأحكام الخاطئة عليه: لأنَّهم يدققون في المسائل الفقهية ولكن لا يعيرون أهمية لمصادرها في الرواية، فنسوا الأصل واعتمدوا في إقرار مسائلهم الفقهيّة على ما دون في تلك المصنفات.

3-ولابُدَّ من عرض أمثلة لتلك المفارقات:

((فقد قال زهير بن بكار: قدم سليمان بن عبد الملك إلى مكة حاجاً سنة (82هـ)، وأمر أبان بن عثمان بن عفّان أنْ يكتب لهُ سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ومغازية، فقال له أبان هي عندي، قد أخذتها مصحَّحة ممَّن أثق به، فأمر سليمان عشرة من الكتاب بنسخها فكتبوها في رقٍّ، فلما صارت

إليه نظر، فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين في بدر، فقال، ما كنتُ أرى لأولئك القوم هـذا الفـضل، فإمّا أن يكون أهل بيتي غمضوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا، فقال أبان: أيّها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا أنْ نقول بالحق، هُم على ما وصفناهم لك في كتابنا هذا، فقال سليمان: ما حاجتي إلى أنْ أنسخ ذاك!؟ حتّى أذكره لأمير المؤمنين لعلّه يخالفه، ثُمَّ أمر بالكتاب فخرّق ورجع، فأخبر أباه عبـد الملـك بذلك الكتاب، فقال عبد الملك، وما حاجتك أن تقوم بكتاب، ليس لنا فيه فضل، تَعرِّف أهل الشّام أموراً لا نريد أن يعرفوها!؟ قال سليمان: فلذلك أمرْتُ بتخريق ما نسخته من خلال الكتـاب العـشرة))[35]. فيتضح كيف كانت تدون السِّيرة؟ وذلك حينما ارتبطت بأهواء السلاطين والحكام، فكلّ مـا يريدونـه يحرفونه على وفق أهوائهم ومصالحهم.

4- وأكثر الأحاديث الموضوعة، جاءت عن زمان بني أمية قال المدائني: رويت أخباراً كثيرة فـي مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، حتّى انتهت إلى التابعين الذين يرون أنَّها حقّ، ولو علمـوا أنَّها باطل لما رووها، وقد نفى الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام) الكثير مـن الروايـات التـي وردَتْ في القسمين، وهي تتفق في نقلها وروايتها مع أهواء الحكـام والـسلاطين والمـؤرخين النّفعيين، أو الذين يدورون في أفلاكهم.

5- هناك كثير من العوامل غير الموضوعية كما يرى الهاشميّ أُجملها بما يأتي:

أ- الجهل واعتماد الروايات غير الموثقة، وعدم تطبيق قواعد الجرح والتعديل علـى الـرواة والمؤرخين، فضلاً عن التعصب المذهبي.

ب- والجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما هي عليه من التصنع والتلبيس، تقربـاً إلـى أصحاب الجاه والسلطان.

ج- ومجاراة العامة، والخوف من جرح مشاعرهم، ومتابعة أخلاق الجمهور، والبـدع الـسائدة عندهم.

د- والانفلات من مسلمات وثوابت لا يمكن مسها، ومجافاتها مما يضطر الباحث عن الحقيقـة إلى التأويل.

هـ-وتوسيع الأمر الواقع، والسياسات الحاكمة، لجبروتها وغشمتها.

و- وعدم اعتماد المنهجيّة العلمية في البحث التاريخي، بتبني النقد والتّقطيع والتجزئـة. وكـان لتلك العوامل دور مهم في حدوث الكثير من الإشكالات والمفارقات في ما دوّن باسم السّيرة، وتراجم رجال الإسلام، وفي كتب التاريخ التي ارتبطت بالصّدر الأوّل.

ويقدّم السيّد الهاشميّ في المحور الثالث، المنهج المقترح لدراسة السّيرة، ويرى أنه يمكن تحديده بالمسارات الآتية:

أوّلاً: الانطلاق من مبدأ عصمة النبي (عليه الصلاة والسلام) وابتعاده عن الخطأ والزلل، فلا بُدَّ لِمَنْ يدون السيرة النبويّة أنْ يعرف من هو النبي (صلى الله وآله وسلّم)؟ أهو إنسان عادي أم إنّه قد عصمه ربّه، خالق كلّ شيءٍ موجود على البسيطة. أمر الله البشر باتباعه، وأبعده عن المعصية والخطأ، وأمر باتباعه وإطاعته في كلِّ شيء. وتلك سمة وخصيصة لا يمكن تجاوزها، أو التخفيف من واقعها.

ثانياً: إنَّ المؤرخ أو الباحث عندما يقدّر قيمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) في أفعاله وأقواله، وتقريراته، لابُدَّ مِنْ أن يحدد أهمية أقواله مثلاً في حقِّ ابنته الزهراء (عليها السّلام) وحقّ أهل البيت (عليهم السّلام) تطميناً لما وصفه القرآن بقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى۞إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[36].

ثالثاً: اعتماد المسلمات والضرورات الدينية والعقليّة وما نافى تلك المُسلمات والضرورات الدينية من الثوابت التي لم يقرّها القرآن الكريم، ينبغي أن يضرب بها عرض الحائط لأنَّها تخالف كلام الله، وتبنى على زخرف القول الباطل، لأنَّ السّيرة المطهرة متمّمة لكتاب الله، وتجسيداً لمضامينه، فينبغي عدم تحريفها وفق الأهواء والمشارب.

رابعاً: واعتماد القرآن أساساً، وكلِّ ما يتفق معهُ من أوصاف للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) في سلوكه، ومغازيه والكثير من الجوانب التاريخيّة التي لها صلة بسيرته، واعتماد ذلك بكون السيرة تُعدّ المصدر الثاني في التشريع الإسلاميّ بعد القرآن.

خامساً- ترك اعتماد الرواة المجهولين أو المطعون فيهم، وملاحظة مواقع الأشخاص الذين يروون، ويؤرخون، ومدى ارتباطهم بالسلاطين والحكام، وتمحيص ميولهم واتجاهاتهم السياسيّة والمذهبيّة، وتحكيم المنهج العلمي من خلال جمع الطرائق المتنوعة للرواية، وبدراسة علميّة تحليليّة، وإلقاء نظرة مجموعة على حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وسيرته وجعل بعضها يفسر بعضاً.

سادساً: تنويع البحث عن السّيرة والتاريخ بحسب تباين المناهج العلميّة واختلافها، والاهتمام بما يمكن الإفادة منها في دراسة السيرة[37].

المبحث الثّاني
ما كتبه السيّد الهاشميّ في السّيْرة ومضامينها

إنَّ الذي يقرأ ما كتبه السّيد الهاشمي وفي ما ورد عنه يتلمّسُ أنَّ سماحته قد تأثر بما تدرجت عليه حياته في طلب العلم في الحوزة العلميّة بالنجف الأشرف، إذ كان لها الأثر الكبير والفاعل والمتميز في بلورة منعطفاته الفكريّة، وتطلعاته الإصلاحية وفي كلِّ مراحل حياته حتّى تمكن أن يرسو

على قاعدة متينة من الاجتهاد، والتوفيق الألهي، وإنَّ هذا ليس باليسير، لأنَّ ذلك يعدُّ من التضحيات ربَّما ما لم تكن تَقرنْ بمن كان في عمره المديد (إنْ شاء الله)، ومن خلال تبوّء سماحته بجدارة مهمات السّلطة القضائيّة في دولةٍ نادت بالإسلام مشروعاً سماوياً لحكمها. فأيقنَ مُرشدها أنَّ السيّد الهاشميّ خير من يمثل ذلك بقوله (قدس سرّه): ((رئيس هذهِ السّلطة المهمة بفضل الله تعالى شخصية علميّة وفكريّة وعمليّة جامعة، ومجتهداً متنوراً ومفكرّاً بارعاً، وهذهِ مِنَ النّعم الإلهيّة الكبرى علينا))[38] فبذلك عُدّ آية الله الهاشمي من أبرز الفقهاء والحقوقيين الذين دَرَسوا، ومارسوا التدريس في الحوزة العلمية بقُمٍّ بَعْدَ استقراره في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، فضلاً عن نشأته وترعرعه في أسرة دينية عريقة، اتفقت مع مقدرته فأمسى يشار إليه بالبنان بين أقرانه، وسائر العلماء والطلاب من خلال نظريات له حديثة وواضحة، متمسكاً بمتابعة الاجتهادات فيما توفر له من سبل، وما سنحت به طبيعة الظروف التي تهيأت لهُ في بلده الثاني إيران، فتمكن من تأليف نحو (20) كتاباً باللغتين الفارسيّة والعربيّة[39]، ولعلّه لم يقصر في ما كتبه عن السّيرة.

المطلب الأوّل

ما كتبه السّيد الهاشمي في السّيْرة

كان طموح السّيد الهاشميّ في متابعة العدالة التي هي تمثل جوهر حياة الإنسان، وتدفعه إلى التّطلع في استقصاء، وتحري الآمال التاريخيّة التي قدرها الله، وهو الحقّ المطلق فيما جسده بأحكامه القرآنيّة، ومتابعة الأصول من أجل عرض الأنموذجات الفاضلة التي تمثلت بحياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، ومَنْ سعى سعيه من أهل بيته الكرام (عليهم السّلام)، ولاسيّما مَنْ مارسَ تطبيق العدالة قولاً وفعلاً فضحى بالغالي والنفيس، لكي يعرضَ الموعظة والنّصيحة، تطميناً، لما أطلقه الملايين من الرجال والنّساء من نداءات وصرخات، تدعو إلى تطبيق شرائع الإسلام واقتفاء أثر العينات المثلى التي جعلها السّيد الهاشميّ ممثلة أو واضعة أُسس نظريات ما عرضه من أفكارٍ واجتهادات واقعية متطوّرة، جاعلة من الماضي في تاريخ أولئك الذين أختارهم، مصدر إلهامٍ، ومنارَ توضيح للمفهومات الإنسانيّة العادلة، فكانت كتاباته في السيرة تمثلت بما يأتي:

أوّلاً: كتاب معطيات آية المودّة: التي جاءت مقاصدها في أنَّها حلقة تتضمن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها سماحة السيّد في شهر محرم الحرام سنة (1403هـ)، وإنّها قد تضمنت معاني عديدة جاءت بها من خلال معالجة مفهوم مودّة أهل البيت (عليهم السّلام)، وقد بينت بجلاء أنَّ المراد بتلك المودّة. هي مودّة الرسالة في محبّة أصلها أهل البيت (عليهم السلام) وليستْ مودّة وتقرّب مرتبطة برباط عاطفي أو عشائري خاص، وإنَّما هي مودّة أمرت بها السّماء قرّت ورسَتْ بوصفها امتداداً حقيقياً للمودة الإلهيّة، لأنَّ أهل البيت (عليهم السّلام) مثلوا ثقلاً إلهياً في الأرض، ورمزاً جسدَ القمة في الكمال، من خلالهم تتصل مثالية الأرض بالسماء دون انفعالٍ، ولا تزلّفٍ،

لأنّهم، وطّدُوا، ووطنوا ما تحتاجه الأرض، من وجود معين ثرٍّ لرسالة صالحة، فإذا تيقّن أنّ مصدر الرسالات السّماء، فإنّ مسؤوليّة التنزيل والتأسيس للرسالة وقعت على عاتق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)، ومسؤولية الصيانة واستمرارية التطبيق، والدفاع عنه، تكفّل بها الأئمة الأثنا عشر من أهل البيت (عليهم السّلام)، فصارت مُودّة أهل البيت (عليهم السّلام) في طبيعة التزامها وإدراكها وسيلة وهدف وغاية، ينبغي على من أراد الخير، أن يجعلها ممثلة لإنطلاقة جادة في تكريس الخطّ الألهي للعدالة في أرض الله، ناهيك عن أثرها في تغيير سلوك الإنسان ليطمئن نهايته في حياة أخرويّة فاضلة إذا ما اقتفى أثرهم (عليهم السّلام)[40].

ثانياً: كتاب محاضرات في الثورة الحسينية: اتجهت حلقات ذلك الكتاب التي هي محاضرات ألقاها السيّد الهاشميّ في شهر محرم، وبتحليل علميٍّ، ومنطقيٍّ للتحرّك السياسيّ والاجتماعيّ والرسالي التأريخيٍّ للإمام الحسين (عليه السّلام) التي جسدها في ثورته، وقيامه مع ثلةٍ من أهل بيته العظام(عليهم السّلام) وأصحابه الكرام (رضوان الله عليهم) مجسداً لمفهومات الرسالة الإسلاميّة ومضامينها السامية، وبكلِّ دلالاتها الشرعيّة، وقيمها النبيلة، حتّى ضرب المثل الأعلى الداعي إلى الكمال الإنسانيّ، وقد بلغ الذروة المثلى في التطبيق الواعي والصادق لمثل السّماء، فُعدّ الأنموذج الأوفى، والعينة الجادة لمطامح الإنسان الذي خلقه الله، وهيأ لهُ مع فطرته العدالة والحرية. ولقد أوضحت تلك المقالات أو المحاضرات، ماهية ثورة الحسين (عليه السّلام) وعلى حقيقتها، وبينت تلك المحاضرات والسّر المحرك لها بكلِّ جلاء، وأقامت الدليل على كمال الهدف، وسلامة المقصد، والمرشد إلى إتمّام رسالة الإسلام، وبقائها إلى أن يرث الله الأرض لعباده الصّالحين، فيبقى الإنسان العارف، بأهداف تلك الثورة، الموجه الصّالح، لأنْ تصل إلى مراميها بَعْد أن يرتشف من مناهلها الزّاد الأوفى للركب الإنساني المتعطش للقيم والمثل الصّافية والجليلة وتلك المحاضرات، بدأت في عام 1403هـ. وكانت الأولى منها قد ربطها السيّد بما انتهى إليه من آخر محاضرة له في معطيات آية المودة، وفي أبعادها بصيانة الرّسالة الإسلاميّة في حياة كلِّ إمام.

وبَعْدَ أنْ أوضح الهاشميّ مفهوم دور الأئمة ودور الأوصياء والرسول في إتمام مقاصد رسالة الإسلام وأهدافها، وكون ثورة الإمام الحسين (عليه السّلام) ذات أبعاد، وجوانب عديدة فيها كلّ معاني البطولة والفداء، والأعراف الرساليّة حيث يستطيع الإنسان أن يستخلص من تلك الثورة المباركة ومشاهدها ومراحلها وفصولها كلّ دروس القيم الإنسانيّة وكلّ المعاني الخالدة والفاضلة، التي بشرت بها الرسالات الربانيّة والسماويّة، التي جسدها وطبقها الإمام الحسين (عليه السّلام)، وأهل بيته وسار عليها أصحابه، لذلك يمكن معرفة أبعاد تلك الثورة، مع أنّ الإدراك قد يقصر عن أنْ يلمّ بكلِّ المعاني

والدروس والعبر، ولهذا لابُدَّ في رأي السيّد أنْ تقتصر على بُعدٍ وجانب من أبعاد تلك الثورة، وبما يستطاع وفق الزّمن الذي تهيأ لهُ، فحدّده في الوجه الاجتماعيّ، لأنَّ المراقبين لهذا الوجه من حركة الإمام الحسين (عليه السّلام) قد تباينوا، واختلفوا في تفسيره، لأنَّ سيرة الشخصيّة العظيمة غالباً ما يختلف في تفسيرها، وتحديد أبعادها، مع أنَّ ربطَ سيرة تلك الشّخصيّة توافق سير عظماء التاريخ، ولهذا جعل السيّد محتويات للجانب الاجتماعي، والذي سيكمل الحديث عنه في المطلب الثاني[41].

ثالثاً: القضاء وصِفات القاضي عند الإمام عليّ: إعداد وتنظيم السيّد محمود الخطيب، والتي قرّر فيها المعد للكتاب أنَّ شخصية الإمام عليّ (عليه السّلام) ((أفضل شخصية إنسانيّة خالدة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ليس عند المسلمين فحسب بَلْ على مستوى البشريّة والأديان السماوية جمعاء))[42] وقد تحدث السيّد الهاشميّ في ذلك الكتاب بما جاء في محاضراته التي قرّرها بعنوان: ((الإمام عليّ (عليه السّلام) العطاء الحضاري المتواصل)) التي ألقاها في دمشق عام 1423هـ-2002م، والتي حضرها جمع غفير من علماء البلدان الإسلاميّة، وشخصيات علمية وسياسيّة عديدة، وكان مفادها شخصية الإمام عليّ (عليه السّلام)، وصلابته، وموضوعيته، ومناقبه وفضائله وصفاته، إلى جانب المعالم التي رسمها، وأرسى قواعدها في قضائه العادل، والآفاق التي فتحها لِمَنْ تولّى وسوف يتولّى القضاء وفقهه، وأصوله العامة، والمحاكمات التي يمكن أنْ تتيح عَنْه، فضلاً عن طبيعة القضاء عند الإمام علي (عليه السّلام) والتعامل الإنساني السّليم وتكريم الإسلام للإنسان بكونه إنساناً، وقد فصّلَ السيّد، الشروط التي ينبغي أن تتوفر في القاضي من العدالة، وضرورة اعتماد الأدلة الشّرعيّة والعلميّة وعن حقّ النّقض والاستئناف، وحقّ الدفاع، وتوكيل المحامين، وغير ذلك من موضوعات تُعدّ من الأمور المهمة التي يبنى عليها العمل القضائي[43].

رابعاً: ولم يقتصر السيّد الهاشميّ في استلهام العطاء الحضاري والفكري من سيرة الأئمة الأَطهار من أهل البيت (عليهم السّلام) بَلْ، وفاءً منه لشيخه وأستاذه أحد رواد الإصلاح لأهل البيت (عليهم السّلام) الشهيد محمّد باقر الصّدر (قدس سره)، فكتب بحثاً عنوانه ((الإمام الشّهيد محمّد باقر الصّدر سمو الذات، وخلود العطاء))، ونشرهِ أوّل مرّة في مجلة البلاغ على ما تقدّم ذكره، وبَعْدَها نُشرت في مجلة المنهاج ضمن مجموعة بحوث لمجموعة من العلماء والباحثين، التي صدرت عن مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة الذي يترأسه في بيروت[44]. والسيّد الهاشميّ في تلك المحاضرة، قرّر أنَّ السيّد الشّهيد محمّد باقر الصدر (رضوان الله عليه)، وضع المعالم الرئيسة لمدرسة علميّة، متميزة جعل الهاشميّ لها خصائص، وسمات، سأعرض مضامينها في المطلب الثاني (إن شاء الله)، وهو في محاضرة ثانية عن سيرة الشهيد محمّد باقر الصّدر، أجرى

موازنة عن وجه الشّبه بين النبي إبراهيم الخليل (عليه السّلام)، وبين السيّد الشهيد الصدر (قدس سرّه) إنطلاقاً من الآية الشريفة: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[45])). وتلك الموازنة مثلت العطاء الفكري ودورها في التغيير باعتماد القدوة، وليس في مفهومات الرسالة أو النبوة، لأنَّ التباين معروف بين الاثنين[46]، ويبدو أنَّ السيّد الهاشمي، ومِنْ شدة ولعه، وحبّه لشيخه وأُستاذه السيّد الشهيد محمّد باقر الصّدر (رضوان الله عليه) جعله رمزاً لكلِّ سمة فاضلة من رموز التاريخ، ولاسيّما المضحي الأعظم لأهل البيت الإمام الحسين (عليه السّلام) فتذكّر، وقرّر تفسير السيّد الشهيد الصدر (قدس سرّه)، لدوافع الثورة الحسينية، وهو يعرض في محاضرات عدّة مُعطيات الثورة الحسينيّة لما رآه من تفسير لقضيته (قدس سرّه)، وما أشبهها على حدّ تعبيره بقضية الإمام الحسين (عليه السّلام) في سيرته (عليه السّلام) بوقوفه في وجه الظلمة وتحديهم[47].

المطلب الثّاني

مضامين السيرة في كتابات السيّد الهاشميّ

إنَّ السيّد الهاشميّ قد أقرّ فيما سبق ذكره أنَّه لم يكن من المتخصصين في علم السِّيَرة، وما حددته في مصطلحها، ولكنَّه جَعلْ من مفهوماتها تطبيقات لعبرٍ ونصائح ينبغي أن تعتمد في السلوك الأمثل، لأرساء قواعد مسارات اجتماعيّة، يجد فيها الإنسان في حاضره ومستقبله منهجاً صحيحاً، لمعاشرة أخيه الإنسان، وفيما وجهه إليه الباري (عزّ وجلَّ)، وفي ما يأتي، أهم المضامين، والمنطلقات الفكرية التي قيدها السيّد الهاشميّ، في محتويات ما كتبه عن سيرة مَنْ رأى أنّهم المثال الذي ينبغي أنْ يحتذى:

أوّلاً: ففي مُعطيات آية المودّة، وفي سورة الشّورى/ الآية: 23 بَيّنَ اختلاف المفسرين في تحديد أجر الرسالة بالقول: ((أن قوله تعالى:﴿ **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾، بادعاء بعض المفسرين أنّها منسوخة بتلك الآيات التي لم يذكرها، التي تنفي مطلق الأجر، وعدَّ أنَّ الآية بالتفسير الذي يفهمه الإنسان العرفي واللّغوي الاعتيادي لا تكون مناسبة مع مقام النبوة، باعتبار أنَّ النبي (صلى الله عليه وسلّم)، وهو في قمة الموضوعية والفناء في الله سبحانه وتعالى يفترض فيه أنّه يطلب على رسالته وتبليغه للرسالة أجراً، هو المودّة في أقربائه الذي ربَّما يعطي نوعاً من الإهتمام بالأهل والعشيرة ونحوها، وتلك الأمور، حُدّد بأنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أبعد النّاس عنها، وعن التوهم حتّى التصدي من مكاسب لقبيلته وعشيرته أو لأرحامه ولذلك رأى السيّد الهاشميّ أنَّ بعض المفسرين فسروا الآية أو أولوها في مسارين:

الأوّل: أنَّ المقصود في المودّة في القُربى: هو التودّد في القرب إلى الله سبحانه، والقربى: التقرب إلى الله فتعني ((فلا أسئلكم عليه أجراً إلا أنْ تتودّدوا في التقرب إلى الله، وتلحون في التقرب إليه))، والثاني: فسروها بتفسير من ذلك القبيل، وتارة فسروها بأن المقصود بالمودّة في القُربى أنَّ ذلك الخطاب إلى المشركين القرشيين الذين كانوا معارضين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) في مكة، وسورة الشورى، من السور المكيّة، فكأنَّ الخطاب لأولئك بالقول: لا أسئلكم عليه من أجر إلاَّ أن تحفظوا قرابتي منكم، فلا تكون الآية على ذلك خطاباً للمؤمنين، بل هي خطاب للمشركين[48]. وقد رأى سماحته أنَّ هناك تفسيرات أُخرى، وهي على خلاف الظاهر الواضح من التفسير الذي يمكن أن يفيد منه الإنسان. ورأى السيّد الهاشميّ:

1- إنَّ كلمة القربى بمعنى التقرّب غير مستعملة في اللّغة العربية لكي تستعمل كلمة القربى ذلك المفهوم، وإنَّما القُربى بمعنى الأقرباء وحكّم في ذلك ما جاء في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ).

2- سياق الأجر، لا معنى لهُ، لأنَّ ذلك ليس أجراً بحسب الحقيقة وإنَّما يؤدي التقرب إلى الله سبحانه هو نفس الرسالة، أي نفس الأحكام التي جاءت بها الرسالة التي جاء بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وبلّغ بمضامينها، لأنَّ الأجر، لا يمكن أنْ يكون نفس المأجور عليه، كما أنَّ وجه تفسير الآية في مخاطبتها قريش غير صحيح لأسباب رآها السيّد وهي:

أولاً: إنَّ الناحيّة التاريخيّة تبيّن أنَّ الآية من الآيات المدنيّة ومن الآيات التي نزلت في أواخر الأيام التي عاشها النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) في المدينة، مع أنَّ أكثر آيات سورة الشورى مكيّة إلاَّ أنَّ تلك الآية أقرّها الكثير من المؤرخين والقراء من الآيات المدنية[49].

وثانياً: ولا معنى أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قد خاطب قريش الذين لم يكونوا مؤمنين برسالته البتة، فكيف يطلب منهم أجراً وكانوا جاحدين لكلِّ معطيات الرسالة، فلا معنى لطلب الأجر بالقرابة. وعليه رأى السيّد: أنَّ الروايات والمحاجات كثيرة وبما اتفق عليه الجمهور والإماميّة أنَّ المقصود بها قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)[50]، ونقل ما دار من محاورة ونقاش بين الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في الشام وبين احد الشاميين بقوله (عليه السّلام) لذلك الشامي: ((هل قرأت القرآن))؟ فقال: نعم فتلا الإمام (عليه السّلام) الآية وقال للشامي (فنحن القربى يا شيخ)، وبما رواه ابن جرير عن أبي الديلم[51]. وأورد العديد من الروايات حوت المضامين نفسها، ورأى: أنّه

لا ينبغي أنْ يناقش تاريخياً المعنى في التقرب إلى الله إلاّ بمودة أصحاب الكساء الخمسة المعصومين، والذي هو وارد في روايات الطرفين من الجمهور، والإمامية[52].

ثُمَّ سعى السيّد إلى درء الشبهات عمّا قرّره من معنى بآيات أُخر وعن سور أُخرى، ورأى أنَّ الباري عبّر بالآجر لنكتتين على حدّ قوله:

الأولى: أنَّ قربى النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، هُم القربى المصطلح عليهم من قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم). ومن المناسب أدبياً ولفظياً أنْ يصطلح على مودتهم بكلمة أجر، وهو واقع وليس أجراً. وذلك مدرك عقلي ينبغي أن يكون من قبل الناس، لا من الناس إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وهو من الله (جلّ وعلا) لأنَّ الناس عندما يدركون ذلك يتقربون بمودّة أهل البيت (عليه السّلام) من خالقهم سبحانه، والثّانية أنَّ محبة القربى يكون بظاهره وصورته من فعل النّاس والمجتمع نحو النبي وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام)، قد كلفتهم تلك القرابة التضحيات الجسام في الولد والمال، وعلى مرِّ العصور، وبما لم يكلّف به المسلمون، وخلص السيّد الهاشميّ أنَّ هناك جملة معطيات لذلك التفسير الذي أقرّه، وبما يأتي[53]:

1- تثبيت الإمامة للأئمة، لأنَّ الآية والآيات الأُخر التي فسرّها بها، حصرت المودّة بالقربى، فأقرّت أئمة أهل البيت (عليهم السّلام).

2- إنَّ تلك الآية دلّت على مبدأ الولاية بزيادة إنَّ المودّة والمحبة لا تكون إلاَّ للولي، إلى جانب الإمام، لإنَّ الإيمان بهما، تارة بكون الأئمة، والإمام منهم قائداً وخليفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وكان ينبغي أن يكون الأئمة (عليهم السّلام) جميعاً خلفاء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وليس للذين أقصوهم، وغصبوا حقهم، وتلك حقيقة يجب أن تكون مرتبطة بنظرية الحكم في الإسلام، أو بكونها نظرية للقيادة الإسلاميّة، وتلك مرتبة سامية من الإيمان بالأئمة الأطهار (عليهم السّلام)، وتلك المفهومات أقرّها السيّد الهاشمي في خمس محاضراتٍ من الكتاب، حدّد المفهوم الأوّل منها بالتفصيل الموجز غير المخل بالمعطيات، أما الثانية من محاضراته فدارت حول معاني الآية في تحديد موقع الرموز البشرية في التربية الربانية[54]، والثالثة تضمنت ثلاثة محاور: مبدأ المودّة لأهل البيت بكونه هدفاً ووسيلة، ومنهج الأنبياء في تربية الإنسان، وإقامة العدل في الأرض بحاجة إلى رسالة صحيحة وقدوة صالحة[55]، والرابعة: حوت مفهومين هما: الأوّل الدور الرسالي لأئمة أهل البيت (عليه السلام) هو صيانة الرسالة ذلك ناحية، والثّاني الاختلاف بين الأئمة في مواقفهم السياسية[56]، ويبدو أنَّ المحاضرة الخامسة[57] التي أقرّها السيّد في الكتاب هي مجالان:

الأوّل: صيانة نفس الرسالة من التحريف والتشويه والتغيير في قيمها وأحكامها، كما وقع لكثير من الرسالات قبل الإسلام[58].

والثّاني: وهو أهم وأخطر وأصعب من ذلك لذلك جعله السيّد الهاشمي (في ثلاث مقدمات: الأولى: سلوك الأئمة كأقوالهم، وهي حجة على الناس، وفقدان البحوث التحليليّة، لتأريخ الأئمة، والثّالثة، ثورة الإمام الحسين (عليه السّلام) مدرسة متكاملة[59]. أمّا محتويات كتاب محاضرات في الثورة الحسينية، فقد اشتمل على أربع محاضرات، أقرّها سماحته في دوافع الثورة الحسينية، وفي التفسير الإسلامي لقضية الإمام الحسين، بما حدّده من عنوانات تسير وفق المضامين الآتية:

1- دراسة دوافع الثورة الحسينية، وأسباب تلك الحركة التي قام بها الإمام الحسين (عليه السّلام).
2- ودراسة طبيعة تلك الثّورة.
3- ودراسة مراحل الثورة.
4- وآثار الثورة ونتائجها[60].

وقد تكلّم السيّد الهاشمي على دوافع الثورة، فحددها بالأبعاد الاجتماعية للثورة وفي صنفين من التفسيرات: الأوّل التي أعطيت من بعض المستشرقين ومن بعض المسلمين، ومن بعض الحكام أنفسهم في زمن الإمام (عليه السّلام) وبعده، وفي رأي السيّد أنّ تلك التفسيرات لهذا الصنف باطلة، لعدم انسجامها مع طبيعة المعتقد الإمامي، وتصوره عن الإمام الحسين (عليه السّلام) لأنّها تتفق مع انطباع المنحرفين من الحكام، وتبتعد عن الإنصاف، وإدراك لحقيقة الثورة، ولاعتمادها على ما أقرّه حكام بني أميّة، ولبنائها على منهج أصحاب التفسير والتحليل التاريخي للقضية. لكون أولئك، لا يدركون حقيقة الإمامة في مدرسة أهل البيت (عليهم السّلام)، وخصوصياتهم، فكان التفسير الأوّل لذلك الصنف اعتمد الأساس القبلي والعشائري، وهذا ما تبناه بعض المستشرقين بالاستناد إلى كتب التاريخ في أنّ ثورة الحسين (عليه السّلام) تمخضت عن صراع أو سلسلة صراعات بين قبيلتين من قريش ترجع إلى زمن هاشم وأميّة، وانتقال السلطة والوجاهة والزعامة والنفوذ الاجتماعي إلى قبيلة بني هاشم، فحاولت قبيلة بني أميّة أنْ تحوز تلك السطوة، وذلك الجاه، فدخلت مُكرهة إلى الإسلام، وذلك ما وثقه الشعراء، أمثال الأخطل الأخطل وجرير في مناقضاتهما[61]. وجعل ذلك السيّد منتفياً لأسباب اجتماعيّة ودينيّة أفاض في الكلام عليها[62]، وهناك تفسير ثانٍ في بعض الكتب على حدّ تعبير السيّد، بني على تفسير القضية على أساس شخصي ومزاجي بكون الحسين (عليه السّلام) أبي الضيم مثّلَ صرامة مزاجه وحدّة طبيعة ما كان عليه أبوه من شدّة، وقدرة وثابة، ورأى السيّد أنّ ذلك ليس صحيحاً، لأنّ أباه الإمام عليّ وافق

الحقيقة العادلة عندما رفض مزاج ما اقترحه عليه طلحة والزبير في عدم عزله جميع ولاة عثمان بن عفان من اللحظة الأولى لمبايعته ومنهم معاوية، وقد رأى فيهم الظلم وعدم العدالة في حكمهم للمسلمين[63] فضلاً عن أنَّ الاعتقاد بالإمامة قد بني عند الأثنى عشرية أنّها مجال للعمل الاجتماعي، والرسالي، لا فرق فيها بين الحسن والحسين (عليهما السلام) في الحدّة والمزاج، واعتماد معايير تاريخية في رفض الحسين (عليه السّلام)، للخروج عندما طلب منه سليمان بن الخزاعي، لالتزامه بعهد أخيه الإمام الحسن (عليه السّلام) وتلك النظريات والتفسيرات في رأي السيّد الهاشميّ باطلة ومتحرفة، ومدسوسة، هدفها بعض الأغراض والمقاصد السياسيّة المتحرفة[64]، ولذلك رأى أنَّ النظريات المطروحة إسلاميّاً وهي ما مثله الصّنف الثاني، وهي تفسيرات أقرب ما يمكن إنّها صحيحة، لعدم تصادمها مع معتقدهم، وليستْ بصددها علامات استفهام، وجعلها في ثلاثة نظريات: الأولى: النظرية التي أصطلح عليها الغيبية لحركة الإمام الحسين (عليه السّلام)، والثّانية، ما اصطلح عليها، النظرية السياسيّة، والثّالثة: ما اصطلح عليها النظرية الرساليّة التاريخيّة في قضية الإمام الحسين (عليه السّلام)[65] وقد أثبت السيّد الهاشمي النظرية الغيبية بنصوص موثقة منها:

1- عندما حاول الحاكم الأموي في المدينة أن يجبر الحسين (عليه السّلام) على أخذ البيعة ليزيد بن معاوية فاستمهله ليلة أو ليلتين، وذهب إلى مرقد جدّه (النبي محمّد) (صلى الله عليه وآله وسلّم) فأخذته حالة النّوم فشاهد في عالم الرؤيا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)، فطلب منه أنْ يأخذه إليه قال: لا: إنّه شاء الله أنْ يراك قتيلاً، والله سبحانه قدّر أنْ تقتل في أرض معينة وهي كربلاء، وهناك محاورة جرت بين الإمام الحسين (عليه السّلام)، وأخيه محمّد بن الحنفية)، ودليل ذلك أيضاً رسالة تاريخيّة بعثها الحسين بن عليّ (عليه السّلام) إلى محمّد بن علي (ابن الحنفية) يؤكد أنَّ مَنْ لحقّ به فقد استشهد ومَنْ لم يلحق لم يدرك الفتح[66]. وذكر سماحته أنَّ هُناك تحفظات حول نظرية التفسير الغيبي، أجاب عليه، ودحضها بملاحظات ثلاثة، لا مجال لأفاضتها خشية الأطالة[67]، وقد تكلّم السيّد على النظرية الثانية، التي حددها بالتفسير السياسيّ مع شيء من الأجمال، وهي رأي الحسين (عليه السّلام) في أنْ يثور على الظلم والطغيان ويدعو إلى حكم الحق، الذي اغتصب بأبعاد أهل البيت (عليهم السّلام) عن مجرى السياسة والأحداث. إلاَّ أنَّ مشيئة الله أرادت اختبار الأمة في فهم الدوافع ففشل اختبارها[68]، ولهذا وجدْت أنَّ السيّد قد أقرَّ امتيازات للتفسير السياسي على التفسير الغيبي، ثُمَّ مقطع من الآيات عن كتاب تنزيه الأنبياء، إلى جانب تحفظاته نحو التفسير السياسيّ[69].

وانتهى إلى نظرية التفسير الرسالي، فقرّر الأمور الآتية: (1) لابُدَّ من تحويل المفهومات الذهنيّة إلى إيمان قلبي. (2) ولابُدَّ من قدوة مُجسدة حسيّة في تربية الإنسان. و(3) ومعالجة مرض الفتور في

إرادة الأمة الرساليّة وروحياتها، (4) ولابُدَّ من تجسيد تفسير السيّد الشهيد الصدر لدوافع الثورة الحسينية[70].

ويمكن القول: إنَّ كتب السيرة التي وظفها للماضي تنتهي بما كتبه عن الإمام عليّ (عليه السلام) بوصفها معين لسيرة الماضين بقدرة وصدق وأمانة وارتياد للدوافع الإسلاميّة الصحيحة، وخطّ رسالي واضح يمكن اعتماده في إقامة عدالة الله في أرضه، وبما نصت عليه مضامين القضاء، وصفات القاضي عند الإمام عليّ (عليه السلام)، وذلك ما تمَّ إقراره في فصل القضاء، وما يمكن إضافته أنَّ السيّد بَعْدَ الحمد والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) سلّمَ على أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقدّر أنَّه مات شهيد عظمته والصلاة بين شفتيه وفي قلبه شوق إلى ربّه، وهو ساجد في محرابه، واستحسن قول الشاعر أبي العلاء المعرّي (ت449هـ) فيه وفي ولده الحسين (عليهما السلام)[71]:

(من الخفيف)

وعلى الدّهْرِ من دمَاءِ الشهيدي ... نِ علـيٍّ ونجلـهِ شاهدانِ
فَهُما في أواخرِ اللّيلِ فجرا ... نِ وفي أولياتـه شَفَقانِ
ثبتا في قميصه ليجيئ الحشـ ... رَ مستعدياً إلى الرحمانِ

ثُمَّ أردف القول في أنَّ الحديث عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صعب مستصعب لا يمكن منه الإنسان، ومهما بالغ في الحديث، فهو أعجز من أن يصل إلى أبعاد تلك الشخصية العظيمة فيحظى بتعريف لها، أو يحصي فضائلها[72]، لذلك يقف أيّ باحث على أعتاب تلك العظمة متطلعاً إلى المشاهد، والأضواء المحيرة للعقول والألباب من أنوار ذلك الوجود الر ّباني القدسي، ولعلّه قد أفاض في محاضرته الثقافيّة والعلميّة، وهو يتكلّم على التفسير الموضوعي لنهج البلاغة[73]. ومن نافلة الكلام ما يمكن قوله على العديد من الأفكار التي تحتاج إلى تأمل، وأشغال فكر، لا تسمح بها هذه العجالة، والتي أردْت توظيفها في حديث السيّد الهاشمي عن شيخه السيّد محمّد باقر الصّدر (قدس سرّه) في مقالته (الإمام الشّهيد محمّد باقر الصّدر سموّ الذات وخلود العطاء)، والتي بيّن بها المعالم الفكريّة والعلميّة لمدرسة الشّهيد، ودوره الرائد في ترسيخ دعائم المد الإسلامي والإسهام في إرساء قواعده على الصّعيدين الفكري والعلمي في العالم الإسلامي بعامة، وفي العراق بخاصة، والذي توّجه ببذل دمه الزاكي، فكان بحقٍّ سيّد شهداء عصره أُسوةً بجدّه سيّد الشّهداء الحسين (عليه السّلام)، لذلك رأى سماحته أن استيعاب تلك المضامين، لا يتيسر لذلك جرّد مميزات تلك المدرسة فأجملها، ورأى أنَّها ستبقى رائدة وخالدة في تاريخ العلم والإيمان معاً، وبما جاء في[74]:

أوّلاً: الشمولية والموضوعية: بكونها قد عالجت شعب المعرفة الإسلاميّة كافة. لتعدد أبعادها، وتتاسي لا تقتصر على العلوم الإسلاميّة، من فقه وأصول فحسب رغم كون ذلك من أوسع مجالاتها، بل

شملت المنطق، والفلسفة والعقائد، وعلوم القرآن، والاقتصاد، والتاريخ، والقانون، ومناهج العمل السياسي، وأنظمة الحكم، وغيرها من حقول المعرفة الإنسانيّة والإساميّة المختلفة. وتلك الشموليّة كما رأى سماحته جاءت لشيخه السيّد محمّد باقر الصّدر (قدس سره) لما كان يتمتع من ذهنية موسوعيّة واعيّة يمكن عدّها فلتة حظي بها تاريخ العلم والعلماء، ولقد كان آية في النّبوغ العلمي، واتساع الأفق، والعبقريّة الفذة.

ثانياً: الاستيعاب والإحاطة: وذلك بما عرضه من أمورٍ ذات أهمية فائقة، جعلت من توجهاته الفكرية تمتاز بالمتانة والصحة، لكثرة ما استوعبته من احتمالات. وتلك خصيصة مثلت الأساس الأوّل في أن تصبح نظرية ما طرحه متكاملة غير مبتورة، وتلك السّمة كانت بارزةً حتّى في أحاديثه الاعتيادية، وحتّى لِمَنْ يستمع إليه أمام تحليل نظرية علميّة تستمد الأصالة والقوة والمتانة من مسوغاتها، وأدلتها المنطقية.

ثالثاً: والإبداع والتجديد: فالسيّد الصدر (قدس سرّه) امتاز بقدرة فائقة على التجديد، وتطوير ما كان يتناوله من العلوم والنظريات. سواء على صعيد المعطيات أم في الطريقة والاستنتاج.

رابعاً: والمنهجيّة والتنسيق: لقد كان للسيّد محمّد باقر الصدر في رأي السيّد الهاشمي منهجيّة فريدة متماسكة لكلِّ بحث يتناوله بالدرس والتنقيح. لذلك كانت طروحاته للبحوث الأصوليّة والفقهية تتمايز عن كلِّ ما جاء في دراسات وبحوث المحققين السابقين له من حيث المنهجيّة والترتيب الفني للبحث، ناهيك عمّا كان يتميز به من دقّة في طريقة الاستدلال على كلِّ موضوع.

خامساً: والنزعة المنطقيّة والوجدانيّة: فمن معالم فكر السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر (قدس سره) على حدّ تعبير السيّد الهاشمي نزعته المنطقيّة والبرهانيّة في التّفكير والطرح وتلك المعطيات تنسجم وتتطابق مع الوجدان، وتحتوي على درجة كبيرة من قوّة الإقناع، وتحصين الاطمئنان النفسي بالفكرة، وقد استطاع الصّدر بفكره الثّاقب التوفيق بين خصيصته المنطقيّة، والعلمية في الاستدلال وبين مراعاة المنهجيّة الصّحيحة التي تنسجم مع كلِّ علم يتناوله.

سادساً: والذوق الفني والإحساس العقلاني: فهو بتلك السمة تمكن من إدراك جمال الأمور وتناسقها مع ذهنية العقلانية التي أدرك بها بكونه إنساناً علمياً الطباع والأوضاع، والمرتكزات التي نشأ عليها العرف، والعقلاء من أصحاب المواهب، فبنيت على أساسها الكثير من النظريات، وممّا هو معلوم أنَّ الكثير من الباحثين في علوم الأدب والقانون، لا يجيدون صناعة البرهان والاستدلال المنطقي.

سابعاً: والقيمة الحضاريّة لمدرسة السيّد الشّهيد الصّدر: لقد عدّ السيّد الهاشميّ أنَّ السيّد الشهيد الصّدر مثل تحدياً حضارياً مُعاصراً، لأنَّ من مميزات مدرسته أنّها استطاعت التصدي لنسف

أُسس الحضارة المادية لإنسان العصر الحاضر. وعلى أُسس قويمة وضمن بناء شاملٍ ومتماسكٍ ومتين[75]، يتضح ممّا تقدّم أنَّ السيّد الهاشميّ استطاع أن يكتب في السيّرة بين المتبصر، وإدراك المفكر، وعقلية الممحص والناقد للنصوص التاريخيّة، فيعرض الأفكار، ويناقشها، فإنْ توافقت مع معتقده، وطنها ووطدها، بأدلة وبراهين صحيحة، وإنْ خالفت عالجها، وتمكّن أنْ يعطي البديل ويرفض غير الجائز، ولعلَّ تلك الصفات التي اتسمت بها كتاباته، جعلته من بين القادرين على الخوض في هذا الفن الفكري دون مغالطةٍ أو تحيز مبني على عدم دقّة في العرض.

مصادر البحث وهوامشه:

(1) ينظر: كتاب فن الأسلوب (دراسة وتطبيق) عبر العصور الأدبيّة، (الأستاذ الدكتور حميد آدم ثويني): 142 وما بعدها، ط/1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2006م/1427م.

(2) تدوين السيرة النبويّة ودراستها: 6. الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط/1، 1431هـ.

(3) سورة الأحزاب، من الآية: 21.

(4) ينظر: الكليات للكفوي: 431، وإنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية) للحلبي: 3/1.

(5) مختار القاموس (للزاوي): 391 (سَيرَ).

(6) لسان العرب (لابن منظور): 389/4 (سَيرَ).

(7) مختار الصحاح (للرازي): 325 (سَيرَ).

(8) المصباح المنير (للفيومي): 320/1 (سَيرَ).

(9) التعريفات (للجرجاني): 125.

(10) ينظر: مختار الصحاح: 325/ سير.

(11) الكليات: 431/ السَّيرة.

(12) لسان العرب (لابن منظور): 390/4 (سَيرَ).

(13) سورة طه، الآية: 21، وينظر المصباح المنير (للفيومي): 320/1/ سَير.

(14) ينظر: تفسير القرآن الكريم (شبّر): 362.

(15) لسان العرب: 390/4 (سَيرَ).

(16) المصدر السابق: 390/4/سير، والقاموس المحيط: الفيروزآبادي (ت817هـ): 54/2/ سَير.

(17) القاموس المحيط (للفيروزآبادي): 54/2/ سير.

(18) ينظر: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلية): (للحلبي): 3/1.

(19) المصباح المنير (للفيومي): 320/1 (سَيرَ).

(20) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية) للحلبي: 3/1.

(21) المصدر نفسه: 6/1.

(22) نفسه: 6/1.

(23) ينظر: تدوين السّيْرة النبويّة ودراستها (للسّيد الهاشمي): 6-7.

(24) تنظر: السيرة النبوية (لابن هشام): (ت213 أو 218هـ)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (مقدمة التحقيق): 5/1.

(*) عبيد بن شرية الجرهمي: راوية من المعمرين هو أوّل من صحف الكتب من العرب، وهو من خطباء الجاهلية وحكمائها أدرك الإسلام، استقدمه معاوية إلى دمشق، وسأله عن أخبار العرب الأقدمين، فحدثه، وأمره بتدوين الأخبار لهُ مصنفات: منها كتاب التيجان وملوك حمير، وكتاب الأمثال، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان، وتوفي نحو (67هـ). ينظر: فهرست ابن النديم: 89، والأعلام للزركلي: 189/4.

(25) تدوين السيرة ودراستها (للسيد الهاشمي): 7.

(26) تدوين السّيْرة النبوية ودراستها (للسيّد الهاشميّ): 11-12. يقصد بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) وكلٌّ ما تقدّم من مفهومات اعتمدت على ما أقَرّه في الصفحات من ذلك الكتاب: 8-12.

(27) ينظر: تدوين السيرة النبويّة ودراستها: 13.

(28) تدوين السيرة (للهاشمي): 14، وينظر: سيرة ابن هشام: مقدمة المحققين: 5/1.

(29) ينظر: المرجع نفسه (للهاشمي): 15، وسيرة ابن هشام: 5/1.

(30) ينظر: كتاب إنسْان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروف بالسيرة الحلبية، لأبي الفرج نور الدين عليّ بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت1044هـ): 3/1 وما بعدها.

(31) ينظر: علوم الحديث ومصطلحه، د.صبحي الصالح: 24 وما بعدها.

(32) تدوين السيرة النبويّة ودراستها: 16.

(33) تدوين السّيرة ودراستها: 19.

(34) تدوين السّيرة ودراستها: 19-20.

(35) تدوين السّيرة ودراستها: 24-25.

(36) سورة النجم، الآيتان: 3-4.

(37) تدوين السيرة النبوية ودراستها (للهاشمي): 24-26.

(38) أضواء على حياة سماحة آية الله العظمى السيّد محمود الهاشمي: 63.

(39) ينظر: كتاب إطلالة على العدالة والتطوّرات القضائية في العقد الثالث من الثورة الإسلاميّة: 8.

(40) تنظر: مقدمة كتاب معطيات آية المودّة (للسيّد الهاشميّ)، سلسلة من هدي الإسلام، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع: 5-6، بيروت-لبنان، ط/1، 1403هـ، وط/2، 1432هـ.

(41) ينظر: كتاب محاضرات في الثورة الحسينية (للسيّد الهاشميّ) المقدمة: 5-7، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط/1، 1432هـ-2011م، سلسلة من هدي الإسلام.

(42) كتيب القضاء وصفات القاضي عند الإمام عليّ (للسيّد الهاشميّ)، إعداد وتنظيم: السيّد محمود الخطيب: المقدمة: 5.

(43) ينظر: القضاء وصفات القاضي عند الإمام عليّ (عليه السّلام)، بقلم محمود الخطيب: المقدمة: 5-6.

(44) ينظر: أضواء على حياة السيّد الهاشميّ: 63.

(45) سورة النحل، الآية: 120.

(46) ينظر: أضواء على حياة السيّد الهاشميّ: 67.

(47) ينظر: محاضرات في الثورة الحسينية (للسيّد الهاشميّ): 97 وما بعدها.

(48) معطيات آية المودة: 10 اعتماداً على ما جاء في مجمع البيان في تفسير القرآن (الطبرسي): 43/9.

(49) معطيات آية المودة: 10-11 اعتماداً على مجمع البيان للطبرسي: 43/9.

(50) اعتمد في إقرار ذلك تفسيري الصافي للفيض الكاشاني: 364/6، والميزان للطباطبائي: 46/18، و51-52.

(51) معطيات آية المودّة: 12-13.

(52) ينظر: المرجع نفسه: 13 اعتماداً على الكافي للكليني: 93/8 وتفسير الآلوسي: 31/25، والدّر المنثور (للسيوطي): 17/16، ومجمع الزوائد (للهيثمي): 103/7.

(53) تنظر: معطيات آية المودّة: 17-20.

(54) معطيات آية المودّة: 25-39.

(55) المرجع نفسه: 45-49.

(56) نفسه: 55-75.

(57) نفسه: 81-93.

(58) نفسه: 83.

(59) معطيات آية المودّة: 85-93.

(60) محاضرات في الثورة الحسينية: 9.

(61) ينظر: محاضرات في الثّورة الحسينية: 12-13.

(62) المرجع نفسه: 12-20.

(63) نفسه: 21. اعتماداً على شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: 59/1.

(64) ينظر: محاضرات في الثورة الحسينية: 22-23.

(65) محاضرات في الثورة الحسينية: 25-26.

(66) ينظر: المرجع نفسه:19-31، اعتماداً على مصادر عديدة منها (ينابيع المودّة للقندوزي): 60/3، واللهوف (لابن طاووس): 40، وكامل الزيارات، لابن قولويه: 157.

(67) ينظر: نفسه: 33-55.

(68) نفسه: 55-58.

(69) محاضرات في الثورة الحسينية: 59-89.

(70) محاضرات في الثورة الحسينية: 90-97.

(71) سقط الزَّنْد، لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري (ت449هـ): 98- قدم له وضبطه وشرحه د. صلاح الدين الهواري- المطبعة العصرية، صيدا-لبنان، ط/1، 2007م-1428هـ،

(72) القضاء وصفات القاضي عند الإمام عليّ (عليه السّلام): 7-8.

(73) أضواء على حياة السيّد الهاشمي: 66، وقد أعرضت الحديث عن ذلك لتقصي الإيجاز.

(74) ينظر: الشّهيد الصّدر، سنوات المحنة وأيّام الحصار، الشّيخ محمّد رضا النّعماني: 82 وما بعدها.

(75) ينظر: بحوث في علم الأصول (للسيّد الهاشميّ): 1/7-12، و81-87 معالم مدرسة محمد باقر الصدر، والشّهيد الصدر سنوات المحنة وأيّام الحصار (الشيخ محمّد رضا النعماني): 82-87.